اللعب التظاهري وعلاقته بالنمو المبكر للتفكير التجريدي لدى طفل الروضة

ا.د/ نبيل السيد حسن** * د/ وفاء رشاد راوي**

مصدر النشر: **مجلة التربية وثقافة الطفل،** كلية رياض الاطفال – جامعة المنيا - ابريل 2015

مقدمة ومشكلة البحث:

إن الطفولة من أهم فترات حياة الانسان، وهي ليست فترة اعداد للمستقبل بل هي حياة الحاضر، حياة قائمة بذاتها، فسنوات ما قبل المدرسة يتحدد فيها مستقبل الفرد، ولذلك فهي تمثل أهم المراحل في حياة الإنسان .

ونظراً لما تتميز به من مرونة وقابلية للتعلم ونمو للمهارات والقدرات المختلفة ، فهي من أهم مراحل التأسيس لمهارات التفكير العليا. ويعد اللعب سمة مميزة لهؤلاء الأطفال، حيثُ يستغرقُ جزاءً كبيراً من وقتهم وطاقاتهم ، ويرى علماء النفس أن اللعب يمثل أرقى وسائل التعبير في حياة الأطفال، ويشكل عالمهم الخاص بكل ما فيه من خبرات تؤدي إلى تنمية جميع جوانب النمو بما فيها النمو العقلي والمعرفي.

ولذلك فإن خبراء التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة غالبا ما يركزون على تعليم الأطفال وتنمية قدراتهم العقلية من خلال اللعب معتمدين في ذلك على بحث وفلسفة جان بياجيه .(Jean Piaget) الذي يتمحور حول " قوة اللعب ". فقد كان يعتقد أن الأطفال يتعلمون بكفاءة أكبر ويكتسبون معرفة أكبر عن طريق النشاطات القائمة على اللعب مثل المسرحيات الدرامية والفن والألعاب الإجتماعية. وتحفز هذه النظرية فضول الأطفال وميولهم الطبيعي إلى " التظاهر" ودمجها مع الدروس التعليمية. هذا إلى جانب تأكيده على العلاقة القوية بين اللعب والنمو العقلي للطفل، فقد ذكر أن اللعب ليس وسيلة تسلية فقط وإنما يكتسب الطفل عن طريقه مهارات وخبرات لازمة لنموه العقلي. (Break , 2002 , 325) .

*أستاذ علم نفس الطفل وعميد كلية رياض الأطفال – جامعة المنيا

**مدرس علم نفس الطفل، كلية رياض الأطفال – جامعة المنيا.

وتؤكد الدراسات أن العلاقة بين لعب الطفل وتفكيره علاقة وثيقة وهذا ما يؤكد على أهمية اللعب في بناء تفكير الأطفال وعقولهم ونمو الكثير من العمليات العقلية العليا لديهم، لذا فإنه ليس من الصواب النظر للعب الطفل على أنه عبثاً ومضيعة للوقت، فقد أكدت جميع النظريات الحديثة للنمو العقلي على أن أصل الذكاء والتفكير الإنساني يكمن فيما يقوم به الطفل الصغير من نشاط وحركة ولعب حر. (Verenikina & Lysaght, 2003) ، (Shannon,D. Lockhart, M.A, 2010)،

ويعتبر اللعب التظاهري هو القدرة المهمة التي تساهم في تطوير الأطفال، فهو بمثابة الفاعلية القائدة التي تحدد نمو الطفل وتطوره ، كبؤرة العدسة المكبرة التي تحتوي على كل الميول التطورية في شكل مكثف.

وينمو التظاهر والخيال ابتداء من الوقت الذي تقوم فيه الطفلة بأخذ رشفة من كأس فارغة بتلذذ واضح، أو تتخيل أنها تمسك ببالونات لا وجود لها، أو تقوم بتنظيف وتغذية دماها، أو تتظاهر بأنها قد أصبحت قطة أو بائعة تبيع صناديق مليئة بالبلى في مقابل نقود في محل يتكون من سلة مقلوبة للملابس. ويبدأ هذا الأمر بأجزاء صغيرة غير مرتبطة من مواقف التظاهر، وينتهي إلى نسج سياق بالغ الاتساق والتكامل من مواقف اللعب الإيهامي أو التخيلي. وتبعا لبياجيه فإن هذه المشاهد تتكون في البداية من بعض الأحداث الواقعية التي مر بها الطفل ، وسرعان ما تتحول فلا تكون مجرد أشياء واقعية غائبة عن الموقف، بل قد يكون منها أشياء مخترعة لم يمر في خبرة الطفل أشياء واقعية تشبهها، ولكنه يقوم بجمع عدة صفات متنوعة لأشياء واقعية مختلفة بطريقة اعتباطية ليكون منها أفكاراً تجريدية. (سوزانا ميللر، 1987، 156).

ويعد اللعب التظاهري مرحلة متطورة من اللعب الرمزي حيث يرى ماثيوس أن اللعب التظاهري المجرد القائم على الأفكار هو المرحلة الأكثر تقدماً من اللعب الرمزي القائم على الأشياء المحسوسة مستنداً في ذلك على أن النمط القائم على الأفكار يحتاج إلى وجود مستوى معرفي محدد كمتطلب قبلي كي ينطلق منه والذي ينمى من خلال النمط الأول والقائم على التحول المحسوس. فمثلاً (عندما يقول الطفل عن كرة أنها تفاحة فإنه يتخيل أن الكرة تفاحة ولكنه لا يخلط بين الحقيقة والخيال) أي أنه تعامل حسياً مع التفاحة ثم أصبح يتعامل معها رمزياً من خلال إدراكه لخواصها الفيزيقية . (In: Leslie, 2002: 110) .

وهناك العديد من الدراسات التي تناولت أهمية اللعب التظاهري للطفل كدراسة (Doris Bergen ,2002 (Sheila Reed ,2007)، (Stefanie Frahsek, et. al, 2010) ، ودراسة (Lindsey, E.W., & Colwell, M.J. 2013).، ودراسة (Jiayao Li, 2012) ، ودراسة (Angeline Lillard, S.et. al. 2013))، ودراسة (Alison, & Caren, 2013) ، ودراسة (Sandra W. & Claire, 2013) والتي قد أكدت جميعها على أهمية اللعب التظاهري في تنمية مهارات عقلية ومعرفية واجتماعية عديدة لدى طفل الروضة.

ويعد اللعب التظاهري اولى مراحل التفكير حيث ربطت بعض الدراسات بينه وبين التفكير التجريدي والذي هو من إحدى المهام الأساسية للتربية والتعليم ليتم اعداد الطفل لمواجهة المهام الصعبة التي تواجهه في البيئات الثقافية المختلفة، فاستخدام التفكير التجريدي يعتبر من وسائل تخفيض هذا التعقيد للمهام وتبسيطها، فقد أكدت العديد من الدراسات والبحوث والنظريات الأجنبية كدراسة (Mark Ylvisaker ,2006) ، ودراسة(Bert van, & Mariëlle , 2007) ودراسة (*Pasnak, Robert* , et, al. 2009) ، ان الأطفال لديهم القدرة على التفكير التجريدي في سن مبكرة .

وقد كان فيليب (1948) من أوائل الباحثين في مجال علم النفس الذي اعتقد امكانية تمكن الاطفال من مهارات التفكير التجدريدي وممارساتها في سن مبكرة ، وهو أول من عرف التفكير التجريدي على أنه " إحدى طرق الأطفال للتعرف على العالم الذي يحيط بهم " وذكر أن الاطفال بامكانهم ممارسة التفكير التجريدي عندما تتوفر لديهم سبل التعرف على تركيبة العالم المحيط بهم ، وقد أكد بعض الباحثين فيما بعد ما

قاله فيليب ومنهم Sheppard, 1973 والذي أكد على أن الاطفال يمكن أن يستخدموا بعض أشكال التفكير التجريدي إن لم يكن معظمها في مرحلة مبكرة عن تلك التي ذكرها بياجية، وقد أستطاع (Davydov 1972/1990) أن يجري تجارب عملية على استخدام الأطفال للتفكير التجريدي وقد استخدم معهم نماذج نظرية تعتمد على تحليل عالمهم الخارجي، وقد ركز في تعريفه للتفكير التجريدي على هذا النمط من التفكير الذي يوظفه الاطفال كوسيلة للتعرف على الهيكل والتركيب الخارجي للعالم الذي يحيط بهم وهو العالم الملموس أو المحسوس. وفي هذا السياق يمكن أن نستخلص أن الطفل الصغير يمكنه التحول من التفكير المحسوس للتفكير التجريدي إذا أمكننا تقديم دعم معرفي مناسب لهم أو نماذج مبسطة تساعدهم على ادراك هذه العلاقات التجريدية في سنهم الصغير. وأكد أيضاً على أن التفكير التجريدي هو الذي يصيغ التفكير المحسوس والخبرات الانسانية المستقبلية . .(Bert van, & Mariëlle, 2007).

وفي نفس السياق ذكرت دراسة ليندا أنه على الرغم من أن الحقيقة المؤكدة هي أن عقل الطفل يكون قابل للتطور السريع فكرياً في سن الرابعة أو الخامسة فإنه لمن الحكمة بالنسبة لنا كتربويين وباحثين في أن نفكر في كيفية مساعدة هؤلاء الأطفال على تمكينهم من القدرة على الربط بين ماهو محسوس وما هو تجريدي عن طريق التفكير في بناء أنشطة قائمة على اللعب والتنظيم الذاتي للألعاب وابتكار مثل هذه الأنشطة أفضل بكثير بالنسبة للأطفال من تقديم معلومات معرفية مجزأة لهم. (Linda, 2006, 25: 29)

وقد اتفق هذا مع ما أشار إليه فيجوتسكي (1978) بالنسبة للدور الهام والحيوي للعب التظاهري في العملية التطورية والنمائية للفكر عند الأطفال من خلال ما يقوم الطفل بتأليفه وتصديقه مستهدفاً بذلك تنمية التفكير التجريدي بشكل غير مباشر ودون علم منه، بمعنى أن تفكير الطفل بين الحين والحين بشكل استقلالي معتمداً على خبراته الذاتية هو بعينه ما يسمى بالتفكير التجريدي. وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأطفال تنموا لديهم أفكاراً تجريدية باستخدام اللعب التظاهري .(Bert van, & Mariëlle, 2012).

ومن الدراسات التي أوضحت دور اللعب التظاهري في تنمية التفكير التجريدي دراسات كلاً من ((Kamii, Constance ,2001)، (LEV SEMENOVICH (Doris Bergen ,2002) Bert van, & Mariëlle) ، (Holbrook Mahn , 2012) ، VYGOTSKY ,2004) .(Sandra W., & Claire E., 2013)، (, 2012

ومن خلال السرد السابق واستقراء الدراسات السابقة والتراث السيكولوجي لمتغيرات البحث اتضح للباحثان عدم تناول الدراسات العربية للتفكير التجريدي كقدرة عقلية عليا يمكن تنميتها لدى الطفل في سن مبكر، على الرغم من أن هناك العديد من الدراسات الاجنبية السابقة التى اهتمت بتنميته في سن مبكرة، كما واتضح لهما أيضاً من خلال الزيارات الميدانية والاحتكاك المباشر بمعلمات الروضة عدم إلمامهن بأهمية اللعب التظاهري بالنسبة لطفل الروضة وما قد يسهم فيه من تنمية للقدرات المعرفية والعقلية لدى الطفل بل وإنه قد يساعد أو يكون له أثر كبير في تنمية بعض مهارات التفكير العليا لدى هؤلاء الاطفال .

واستناداً على هذا فقد جاء هذا البحث كمحاولة للكشف عن العلاقة الارتباطية بين اللعب التظاهري والنمو المبكر للتفكير التجريدي لدى طفل الروضة. وعليه فقد تبلورت لديهما مشكلة البحث الحالي والتي أثارت التساؤلات التالية:

1- هل يختلف مستوي اللعب التظاهري لدي طفل الروضة .
2- هل يختلف مستوي التفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
3- هل توجد علاقة ارتباطية بين التفكير التجريدي واللعب التظاهري لدي طفل الروضة.
4- هل هناك أبعاد للعب التظاهري أكثر إسهاماً في التنبؤ بالتفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
5- هل هناك فروق بين مرتفعي ومنخفضي اللعب التظاهري علي مقياس التفكير التجريدي .

أهداف البحث:

ويهدف البحث الحالي إلي التعرف على :

1- مستوي اللعب التظاهري لدي طفل الروضة .
2- مستوي التفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
3- العلاقة الارتباطية بين التفكير التجريدي واللعب التظاهري لدي طفل الروضة.
4- أبعاد اللعب التظاهري الأكثر إسهاماً في التنبؤ بالتفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
5- الفروق بين مرتفعي ومنخفضي اللعب التظاهري علي مقياس التفكير التجريدي .

أهمية البحث:

اتضحت أهمية البحث الحالي في النقاط التالية:

1- إلقاء الضوء على اللعب التظاهري وأهميته لطفل الروضة .
2- تناول متغير لم يتم تناوله من قبل في البيئة العربية – في حدود ما توصل إليه الباحثان- وهو التفكير التجريدي حيث أنه لم يتم تناوله لدى طفل الروضة .
3- توفير اختبار مصور في التفكير التجريدي لطفل الروضة .
4- توفير مقياس للعب التظاهري لطفل الروضة.
5- توجيه أنظار معلمات أطفال الروضة إلى أهمية اللعب التظاهري في هذه المرحلة وما يمكن أن يؤديه من دور هام جداً في تنمية مهارة التفكير التجريدي لدى طفل الروضة.
6- يمكن الاستفادة من نتائج البحث الحالي في توجيه الروضات لتشجيع الأطفال على توظيف خبرات اللعب التظاهري والتي تساعد على النمو المبكر للتفكير التجريدي لدى الطفل وتجهيز الروضات بأدوات اللعب التي تساعد على ذلك.

فروض البحث:

1- يختلف مستوي اللعب التظاهري لدي طفل الروضة .
2- يختلف مستوي التفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
3- توجد علاقة ارتباطية دالة احصائياً بين التفكير التجريدي واللعب التظاهري لدي طفل الروضة.
4- توجد أبعاد للعب التظاهري أكثر إسهاماً في التنبؤ بالتفكير التجريدي لدي طفل الروضة .
5- توجد فروق بين مرتفعي ومنخفضي اللعب التظاهري علي مقياس التفكير التجريدي .

مصطلحات البحث:

أولاً: اللعب التظاهري:

- تعريف دعاء محمد مصطفي (2013) هو " إنشغال الأطفال على مستوى الفعل والعقل واللفظ بلعب يتم فيه التمثيل الرمزي للأشياء والأشخاص ، للزمان والمكان ، للحقيقة والخيال، ويشمل على لعب

درامي اجتماعي به لعب للدور، ولعب تخيلي سواء أكان اللعب موجهاً ذاتياً من الأطفال أو موجهاً من قبل المعلمة".

- ويعرف إجرائياً : بأنه الدرجة التي يحصل عليها الطفل على مقياس اللعب التظاهري، حيث أن اللعب التظاهري في البحث الحالي يقتصر على نمطين أساسيين كما ذكرت دراسة (Lindsey, E.W., & Colwell, M.J ,2013) وهما (اللعب التخيلي التقليدي – اللعب الدرامي الاجتماعي أو الدراما الاجتماعية).

ثانياً: التفكير التجريدي:

- ويعرف في القاموس الامريكي (The American Heritage, 2007) على أنه " هذا النوع من التفكير الذى يجعل الفرد قادراً علي استخدام المفاهيم ، وصنع تعميمات وفهمها، مثل الصفات او الانماط التي يشترك فيها مجموعة متنوعة من احداث وعناصر معينة.
- يعرف الباحثان التفكير التجريدي إجرائياً " بأنه تفكير افتراضي قياسي يقاس بالنتائج التي تتمثل في عدد الاستجابات الصحيحة التي يحققها الطفل على الاختبار المستخدم في هذ البحث، حيث يعكس الطفل قدرته على التفكير التجريدي من خلال استجاباته على محوري التفكير التجريدي وهما المحور العلاقاتي والمحور المفاهيمي، فيحاول الطفل استنتاج العلاقة المنطقية في المحور العلاقاتي سواء علاقة (ارتباطية أو علاقة الكل بالجزء)، أما في المحور المفاهيمي فإنه يحاول التعرف على المفهوم الذي تعبر عنه ثلاث صور مختلفة سواء في المفاهيم(الانفعالية أو الاجتماعية). وتتحدد هذه النتائج في ضوء مستوى معين من الأداء هو (1 : 20) درجة.

أدوات البحث:

- مقياس التفكير التجريدي لطفل الروضة . (إعداد الباحثان)
- مقياس اللعب التظاهري لطفل الروضة. (إعداد الباحثان)

نتائج البحث:

وأسفرت نتائج البحث عن الآتي:

- يختلف مستوي اللعب التظاهري لدي طفل الروضة . حيث جاء في الترتيب الأول محور (اللعب التخيلي التقليدي) ، وجاء في الترتيب الثاني محور (اللعب الدرامي الأجتماعي) .
- يختلف مستوي التفكير التجريدي لدي طفل الروضة . حيث جاء في الترتيب الأول محور (العلاقات) ، وجاء في الترتيب الثاني محور (المفاهيم) .
- توجد علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائياً بين اللعب التظاهري والتفكير التجريدي لدي طفل الروضة.
- يمكن التنبؤ بالتفكير التجريدي فى ضوء محور (اللعب التخيلي التقليدي).
- توجد فروق دالة إحصائياً بين الأطفال مرتفعي ومنخفضي اللعب التظاهري علي مقياس التفكير التجريدي وفي اتجاه الأطفال مرتفعي اللعب التظاهري.

الجديد في البحث:

- إعداد مقياسين في التفكير التجريدي واللعب التظاهري لطفل الروضة.

- تناول البحث لمتغير حديث في الدراسات العربية ألا وهو " التفكير التجريدي لطفل الروضة " حيث ندرت الدراسات العربية التي تناولته بالدراسة.